المبحث الثانى: الاستقرار:

والاستقرارُ مُعْتَمدُه مبدأُ التعايش السلمي، والإسلام قد أرسى قواعدَ وأسسًا للتعايش مع الآخر فى جميع الأحوالِ والأزمانِ والأماكن، بحيث يصبحُ المسلمُ فى تناسق واندماج مع الأمةِ التى يعيش وسطها، وضمنت تلك القواعدُ للمسلم أن يكونَ عضوًا بناءً متفاعلاً مع مجتمعه سواءَ داخلَ الدولة الإسلامية أو غير الإسلامية وسواءَ مع المواطنِ المسلم أو غيرِ المسلم، دونَ تفريطٍ منه فى ثوابت عقيدتهِ الدينية ودونَ اعتداءٍ منه على حريةِ الآخرين فى مخالفة تلك العقيدة، وعلى نهج تلك الأسس ووفقَ هذه الثوابت يمضى المسلمون قُدُمًا فى رسم الحضارة الإسلامية، التى استوعبت الآخر وهضمت حضارته وتعايشت معه على مرِ التاريخ لم تعقْ مسيرتَها تطورُ الحياةِ ومستجداتُ الواقع، وظل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنةَ والقدوةَ الطيبةَ فى كل شيءٍ، مصداقًا لقول الله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١].

والناظر فى سيرةِ ومسيرةِ سيدنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّمَ يجدُ أنه قد تركَ لنا نماذجَ أربعةً نقتدى بها فى التعارفِ والتعايشِ السلمى مع الآخرِ سواءَ داخلَ الدولةِ الإسلاميةِ أو خارجِها:

الأول: نموذجُ مكة، وكان المُقام فيها هو مقام الصبر والمقاومةِ السلمية.

والثانى: نموذجُ بقاءِ المسلمين فى الحبشة، والمُقام فيها مُقام الوفاءِ والمشاركة.

والثالث: نموذجُ المدينةِ فى عهدها الأول، والمُقام فيها مُقام الانفتاح والتعاون.

والرابع: نموذجُ المدينةِ فـى عهدها الأخير، والمُقام فيها مقام العدل والوعى قبل السعى.

ولا يَخرج بقاءُ المسـلم فى مجتمعهِ وتعايشِـه مع كافةِ النظُم والأديانِ عن هذهِ الصورِ الأربعة، ومن ثمَّ يجبُ علينا أن نعى حقائقَ هذه النماذج، ونُـدْرِك أنها صالحةٌ للاسـتفادةِ منها فى كلِّ عصر حسـبَ حاله، وأنّ بعضهَا لم يَنْسَخْ بعضًا، بل تُنَزل أحكامها بحسب الحال، حتى نستفيد من سـنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته على كلِ حال، إذ هو لنا القدوةُ والأسـوةُ الحسنةُ، وقد أقامَه ربهُ تبارك وتعالى فى هذه المقاماتِ كلِّها.

ومـن الحقائـق التى يجـبُ علينا إدراكُهـا أيضًا أن هـذه المقاماتِ أصبحت أساسًـا أصيلاً فى تكوين شـخصيةِ المسلم، وامتدت إلى أعماقه حتى صارَ الصبرُ والتعايشُ والانفتاحُ والتعاونُ والوفاءُ والمشـاركةُ والعدلُ والوعىُ بالشـأنِ والزمانِ، والسعىُ على بصيرةٍ: جزءًا لا يتجزأُ من تلك الشـخصية، بل إن هذه المقامات هى أصلُ دينِ الله الذى ارتضاه للبشرِ عـبرَ العصور وكر الدُّهُور. ومن حكمِـة آلِ داودَ: أن يكون العاقلُ مُدركاً لشأنهِ عالما بزمانهِ.

وفيما يلى نُفصِّل شيئًا مما أجملناه فى السُّطور السابقة:

النموذج الأول: مكة قبل الهجرة.

كانت مكةُ فى مهدِ الدعوةِ الإسـلامية تحتَ سـيطرةِ المشـركين من قريشٍ، يغلُب عُلى سـكانِها عبـادةُ الأوثانِ وممارسـةُ الرذيلة من بغاءٍ وشُـربِ خمر وارتـكابِ الفواحش، وكانت الأخـلاقُ أيضًا فى عمومها

متدنيةً، فكان القَوِىُ يَطْغَى على الضعيفِ ويأكلُ حقهَ، وكان السيدُ يقهرُ من تحتَ يده من عبيدٍ وإماءٍ ولا يحترمُ إنسانيَتهُم، وكان العربىُ يتعالى على العجمى ، وكان الأبيضُ يَفْخَر عُلى الأسود.

ويصفُ لنا حالَهم جعفرُ بن أبى طالب حينما خَطَبَ أمام النجاشى فقال : أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِى الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ وَنُسِىءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِىُّ مِنَّا الضَّعِيفَ. فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ[1].

فكيف عاشَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد نُزُولِ الوحى عليه، وكيف عاشَ أصحابُه الأُوَلُ ممن آمن بدعوته، أتركوا أشغالهم وحبسوا أنفسهم عن الناسِ وعن التجارةِ والسفرِ، أم هل كانوا يبيعون لأنفسهم ويشترون من أنفسهم فقط ؟

ومَن الذى رفض التعايش مع الآخر هل هم المؤمنون أم المشركون، ومن الذى فرض على الآخر حصارًا فى شِعب أبى طالب ؟ إنها قريش... إنهم المشركون.

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ الإِسْلَامَ يَفْشُو فِى الْقَبَائِلِ اجْتَمَعُوا وَائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ

---

(١) مسند أحمد (مسند جعفر بن أبى طالب) ٤/٢٨٦ رقم (١٧٦٦) .

أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، عَلَى أَنْ لَا يُنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يُنْكَحُوهُمْ ، وَلَا يَبِيعُوهُمْ شَيْئًا وَلَا يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ كَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ ثُمَّ تَعَاهَدُوا وَتَوَاثَقُوا عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ عَلَّقُوا الصَّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ .

ثم عَدَوْا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم، واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزُلزلوا زلزالا شديدا.

وخرج من بنى هاشم أبو لهب إلى قريش ، فظاهرهم ، وتركت خديجةُ دارهَا وانتقلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شعب أبى طالب رغم تجاوزها الستين ، وظل المسلمون محاصرين فى شِعب أبى طالب ثلاث سنوات، حتى اشتد بهم البلاءُ وبلغ منهم الجهدُ ، فأكلوا ورقَ الشجرِ، وسُمِعَ صراخُ صبيانهم يتضاغون من رواء الشعب من الجوع. حتى كره عامة قريش ما أصابهم ، وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة[1].

ولم يهجرْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكعبةَ ، بل ظل يذهبُ إليها ويتعبد فيها لله الواحد قبل البعثة وبعدها ، ولم يمنعه وجود الشركِ فيها عن ارتيادها.

فقد كانت قريشُ تَرُصُّ أصنامها داخل الكعبة ومِنْ حولها ، وكان عددُ الأصنام ثلاثمائة وستين صنما، وظلت هذه الأصنام موجودة حتى عام الفتح الثامن من الهجرة .

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ : دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٤٧.

يوم الفتح وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلاَثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ نُصُبًا ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ كَانَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ :(جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ)[1].

وعن ابن مسعود قال: والله لقد رأيتنا وما نستطيعُ أن نصلى بالكعبة ـ أى عندها ـ ظاهرين آمنين، حتى أَسْلَمَ عمرُ فقاتلهم حتى تركونا ، فصلينا ـ أى وجهروا بالقراءة ـ وكانوا قبل ذلك لا يقرءون إلا سرا.

وعن صهيب قال: لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حِلَقًا . فَطُفْنَا وَاسْتَنْصَفْنَا ممن غلظ علينا[2].

وقيل لعمر رضى الله عنه: ما سبب تسمية النبى صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق؟ قال: لما أسلمتُ والنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه مختفون قلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ قال: بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم. فقلت : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف، والذى بعثك بالحق لنخرجن. فخرجنا فى صفين، حمزة فى أحدهما، وأنا فى الآخر، له كديد ككديد الطحين ـ أى لذلك الجمع غبارٌ ثائرٌ من الأرض لشدة وطء الأقدام ؛ لأن الكديدَ الترابُ الناعمُ إذا وُطئَ ثار غبارهُ

ـ قال: حتى دخلنا المسجدَ ، فنظرت قريشٌ إلىَّ وإلى حمزة فأصابتهمُ

---

(١) البخارى (كتاب التفسير ـ بَابُ (وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) ٦/٨٦، ومسلم (كتاب الجهاد والسير ـ باب إِزَالَةِ الأَصْنَامِ مِنْ حَوْلِ الْكَعْبَةِ) ٥/١٧٣ رقم (٤٧٢٥).

(٢) السيرة الحلبية ٢/ ٢١ ، والخصائص الكبرى للسيوطى ١/٢٢٠ .

كآبةٌ لم يصبْهُم مثلُها ، فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا، ثم رجع ومن معه إلى دار الأرقم، فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق، فرق الله بى بين الحق والباطل[1].

وسئل ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عن أَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – يُصَلِّى فِى حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِى مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِى عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ) الآيَةَ.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود – رضى الله عنه – قَالَ : بَيْنَا النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِى مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ، فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ – عَلَيْهَا السَّلاَمُ – فَأَخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ فَقَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –: « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ».

فَرَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُلْقُوا فِى بِئْرٍ غَيْرَ أُمَيَّةَ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ ، فَلَمْ يُلْقَ فِى الْبِئْرِ.

وعن خَبَّابٍ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهْوَ فِى ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ: أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ ؟ فَقَعَدَ وَهْوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ: « لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ

(١) السيرة الحلبية ٢/ ٢٢.

الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ»[1].

ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ فى عُمرة القضاءِ هو وأصحابهُ وكانت حالها على ما هى عليه من الشرك، وقد بشرهم الله تعالى بدخول مكة معتمرين بقوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: الآية ٢٧].

وفى عمرة القضاء أمر النبى صلى الله عليه وسلم من معه من أصحابه أن يظهروا قوتهم ما استطاعوا حتى يرهبوا مشركى مكة؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَقَامَ فِى عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ثَلاَثًا[2]، وعَنْه أيضًا أنه قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَصْحَابُهُ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ. وَأَمَرَهُمُ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ الثَّلاَثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلاَّ الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ[3]، وعَنْه

---

(١) البخارى (كتاب مناقب الأنصار ـ باب مَا لَقِىَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ) ٥/ ٤٥ رقم (٣٨٥٢).

(٢) رواه أبو داود (كتاب المناسك ـ باب الْمُقَامِ فِى الْعُمْرَةِ) ٢/ ١٥٥ رقم (١٩٩٩).

(٣) رواه البخارى (كتاب الحج ـ باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الرَّمَلِ) ٢/ ١٥٠ ، رقم (١٦٠٢).

أنه قَالَ: إِنَّمَا سَعَى النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِيُرِىَ الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُ [١]. وعَنِه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَرَاهُمْ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً، ثُمَّ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، وَخَرَجَ يُهَرْوِلُ وَيُهَرْوِلُ أَصْحَابُهُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا وَارَاهُ الْبَيْتُ مِنْهُمْ وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيّ، مَشَى حَتَّى يَسْتَلِمَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ ثُمَّ هَرْوَلَ كَذَلِك ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشَى سَائِرَهَا[٢].

وضرب أصحابُ النبى صلى الله عليه وسلم أبدعَ الأمثلةِ فى التعايُشِ السِلمىِّ مع الآخر، حتى فى ظل الاضطهادِ والتعذيبِ صبروا على الأذى وقاوموا بالثباتِ على عقيدتهم ودعوةِ الآخرين للاقتناع بها، فلقد وجَد أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من صنوفِ العذابِ ألوانًا على يدِ مشركى قريش ، فكان أمُر رسولِ الله لهم بالصبرِ وقوةِ التحمُّلِ حتى يجعلَ الله لهم مخرجًا.

فإن قريشًا كانت عدّوا على من أسلم، ووثبت كلُ قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضربِ والجوعِ والعطشِ وبرمضاءِ مكةَ إذا اشتدَّ الحرُ، يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبه، ومنهم من يَصْلُبُ لهم، ويَعْصِمُه الله منهم، ومنهم:

١ – **بلال بن رباح رضى الله عنه**؛ حيث كان أمية بن خلف يُخْرِجُه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم

---

(١) رواه البخارى (كتاب المغازى بَاب عُمْرَةِ الْقَضَاءِ) ٥/ ١٤٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٧٠ .

يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموتَ أو تكفرَ بمحمدٍ وتعبدَ اللاتَ والعزىَ ؛ فيقولُ وهو فى ذلك البلاء: أحدٌ أحدٌ.

وروى البلاذرى عن عمرو بن العاص قال: مررت ببلال وهو يعذَّبُ فى الرمضاءِ ولو أنّ بضعةُ لحم وُضعَت عليه لِنَضجَت، وهو يقول: أنا كافرٌ باللاتِ والعزَّى. وأميةُ مغتاط عليه، فيزيده عذابا، فيقُبلُ عليه فيدغَتُ فى حلقهِ فَيُغْشَى عليه ثم يَفيقُ.

وروى ابنُ سعدٍ عن حسانِ بن ثابتٍ رضى الله تعالى عنه قال : حججتُ فرأيتُ بلالاً فى حبلٍ طويلٍ يمدهُ الصبيانُ وهو يقولُ : أحدٌ أحدٌ أنا أكفرُ باللاتِ والعّزى وهُبَلَ ونائلةَ وبوانة . فأضجعه أميةُ فى الرمضاءِ .

فمرّ به أبوُ بكرٍ الصديقُ رضى الله عنه يوما ، وهم يصنعون ذلك به . فقال لأميةَ بن خلفٍ : أَلَا تَتَقِى اللَّهَ فِى هَذَا الْمِسْكِينِ ؟ حَتَّى مَتَى ؟ قَالَ أَنْت الَّذِى أَفْسَدته فَأَنْقِذْهُ مِمّا تَرَى ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ . أَفْعَلُ عِنْدِى غُلَامٌ أَسْوَدُ أَجْلَدُ مِنْهُ وَأَقْوَى ، عَلَى دِينِك ، أُعْطِيكَهُ بِهِ قَالَ قَدْ قَبِلْتُ فَقَالَ هُوَ لَك . فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامَهُ ذَلِكَ وَأَخَذَهُ فَأَعْتَقَهُ[1].

٢ – عمار بن ياسر وأبوه وأمه رضى الله عنهم؛ حيث أَخَذَه الْمُشْرِكُونَ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ ، ثُمَّ تَرَكُوهُ ، فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «مَا وَرَاءَكَ؟ ». قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُرِكْتُ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣١٧/١ .

آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ. قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟». قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ. قَالَ: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ»[1]. وهو الذى نزل فى شأنه قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النحل :الآية ١٠٦].

ومن قبل ذلك صبرت أم عُمارٍ السيدةُ سميةُ رضى الله عنها على عذاب المشركين حتى مر بها أبو جهل فطلب منها سب النبى فرفضت، فطعنها فى حيائها، فاستشهدت، فكانت أول شهيدة فى الإسلام، واستشهد كذلك زوجها ياسر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهم فيأمرهم بالصبر ويبشرهم بالجنة؛ فيقول: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةَ»[2].

* * *

(١) المستدرك على الصحيحين ٣٨٩/٢ . والسنن الكبرى للبيهقى ٢٠٨/٨.

(٢) شعب الإيمان (شح المرء بدينه حتى يكون قذفه فى النار أحب إليه من الكفر) ١٧٢/٣.

النموذج الثانى : مجتمع الحبشة :

إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قدمَ للإنسانية نموذجا كاملا من نماذج التعايش والتكيُّفِ مع الآخر، وجاء نموذجُ الهجرة إلى الحبشة والحياةِ بين أهلها تطبيقاً لوسيلة من الوسائل التى مارسها كثيرٌ من الأنبياءِ قبل سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فلقد قصَّ القرآنُ الكريمُ على رسولِ الله تجارب كثيرٍ من الأنبياء السابقين، وكيف أنهم لجأوا إلى الهجرةِ كوسيلةٍ للنجاةِ بمن معهم من المسلمين من بطشِ وتعذيبِ المشركين لهم.

ولكنّ الفريدَ فى تجربةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم سيد المرسلين وقدوةِ المسلمين إلى يوم الدين أنه أمر أصحابه بالهجرةِ والفرارِ بأنفسهم وذويهم من بطشِ قريشٍ لكنه لم يفكر فى الهجرةِ بنفسه وأهله إلا بعد أن أتم أمرين:

أولهما: أنه استنفد مع قريش كلَّ الوسائلِ الدعويةِ لهدايتهم إلى الدين حتى يكونوا أصحابَ الفخرِ والسبقِ بالإسلام . فإن مكة كانت بلدَه وفيها قومُه وأهلهُ .

وثانيهما: أنه صلى الله عليه وسلم لم يهاجرْ إلا بعد أن اطمأن على مُعظم أصحابه وأنهم قد هاجروا واستقروا فى المدينة، وأن المدينة قد دخل الإسلامُ كلَ بيتٍ فيها وأصبحت موطنا آمنا وملاذا واستقرارا للدين والمؤمنين من أصحابه.

وأما الهجرةُ إلى الحبشة، فإن الحبشة كانت كمكةَ مجتمعا غيرَ مسلم، ولكنّه كان يكفُلُ للأقليةِ المسلمةِ فيه العدل ، ويقدِّم لهم الحمايةَ والحريةَ الدينية.

وكانت الحبشةُ مظلة العدلِ والحمايةِ لكل من يلجأُ إليها من المستضعفين وذوى الدعوات النافعة الصالحة التى تبنى ولا تهدم وتحيى النفوسَ ولا تُفنيها, وهذا ما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة.

فنموذجُ الحبشة هو النموذجُ أو الحالةُ التى يكونُ فيها المسلمون أقليةً تعيش فى مَناخ من الأمنِ والعدلِ والحريةِ فى ظل دولةٍ غير إسلاميةٍ. فكيف كانت حياةُ الصحابةِ فى الحبشة ؟

اشتد بطشُ مشركى مكة وتنكيلهُم بالقلةِ المسلمةِ، فلمّا رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيبُ أصحابَه من البلاءِ من أهل مكة وتعذيبِهم عندما أظهروا الإسلامَ، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة ؛ فإن بها ملكا عظيما لا يُظلمُ عنده أحدٌ ، وهى أرضُ صدقٍ ، حتى يجعلَ الله لكم فرجا مما أنتم فيه[1] .فخرج قومٌ، وسترَ الباقون إسلامَهم.

وكانت أرضُ الحبشةِ متجرا لقريش، فخرج عند ذلك أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافةَ الفتنةِ وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أولُ هجرةٍ فى الإسلام، وكانوا أحدَ عشرَ نفرًا وأربعَ نسوةٍ متسللين سرا، فصادفَ وصولُهم إلى البحر سفينتين للتجار فحملوهم فيهما إلى أرضِ الحبشة، وكان مَخْرَجُهم فى رجب من السنةِ الخامسةِ من النبوة ، وخرجت قريشٌ فى آثارهم فقاتلوهم.

وكان أولُ من خرج عثمانُ بن عفان معه امرأتهُ رقية بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، والزبيرُ بن العوام، وعبدُ الرحمنِ بن عوفٍ،

---

(١) السيرة النبوية : ٣٢١/١.

وجعفرُ بن أبى طالب، وأبوُ سلمة وامرأتُه أمُ سلمة واسمُها هندُ بنتُ أبى أمية، وعبد الله بن مسعود فيمن خرج معهم رضى الله عنهم، فأقاموا عند النجاشى شعبانَ ورمضانَ، وقَدِموا فى شوال ولم يُدخُلْ أحدُهم مكةَ، فآذنهم عشائرُهم، فأذِنَ لهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم فى الخروج مرة أخرى، فخرجوا فى جماعة من رجال ونساء.

وكان جميع من لحق بأرض الحبشة سوى من وُلِدَ بها وأبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا نيفًا وثمانين رجلاً وإحدى عشرةَ امرأةً، ولما سمعوا بمهاجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رجع منهم ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً وثمانُ نسوةً، فمات منهم رجلٌ بمكة وحُبسَ سبعةٌ، وشَهِدَ بدرًا منهم أربعةٌ وعشرون.

فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِى أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِىِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ وَأُوذِىَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلاَءِ وَالْفِتْنَةِ فِى دِينِهِمْ وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لاَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِى مَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ لاَ يَصِلُ إِلَيْهِ شَىْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مِمَّا يَنَالُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلاَدِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ». فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالاً حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا فَنَزَلْنَا خَيْرِ دَارٍ إِلَى خيرَ جَارٍ أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا[1].

وعَنْهَا أنها قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ

---

(١) البيهقى فى السنن الكبرى ٩/٩ . رقم (١٨١٩٠) .

النَّجَاشِيّ ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا ، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ.

فَرَحُ الْمُهَاجِرِينَ بِنُصْرَةِ النَّجَاشِيّ عَلَى عَدُوِّهِ:

قَالَتْ أم المؤمنين أم سلمة: فَوَاللَّهِ إنَّا لَعَلَى ذَلِكَ إذْ نَزَلَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ الْحَبَشَةِ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُنَا حَزِنَّا حُزْنًا قَطّ كَانَ أَشَدّ عَلَيْنَا مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ؛ تَخَوَّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى النَّجَاشِيّ، فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيّ يَعْرِفُ مِنْهُ. قَالَتْ: وَسَارَ إلَيْهِ النَّجَاشِيّ، وَبَيْنَهُمَا عَرْضُ النِّيلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتّى يَحْضُرَ وَقِيعَةَ الْقَوْمِ ثُمّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ ؟ قَالَتْ فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوّام: أَنَا. قَالُوا: فَأَنْتَ. وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا. قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتّى خَرَجَ إلَى نَاحِيَةِ النِّيلِ الّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمّ انْطَلَقَ حَتّى حَضَرَهُمْ. قَالَتْ: فَدَعَوْنَا اللَّهَ تَعَالَى لِلنَّجَاشِيّ بِالظّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ وَالتّمْكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ إنَّا لَعَلَى ذَلِكَ مُتَوَقِّعُونَ لِمَا هُوَ كَائِنٌ إذْ طَلَعَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ يَسْعَى، فَلَمَعَ بِثَوْبِهِ وَهُوَ يَقُولُ: أَلَا أَبْشِرُوا ، فَقَدْ ظَفِرَ النَّجَاشِيّ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّهُ وَمَكّنَ لَهُ فِي بِلَادِهِ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتنَا فَرِحْنَا فَرْحَةً قَطّ مِثْلَهَا. قَالَتْ: وَرَجَعَ النَّجَاشِيّ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ عَدُوَّهُ وَمَكّنَ لَهُ فِي بِلَادِهِ وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ حَتّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِمَكّةَ[1].

---

(١) – السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٣٤-٣٣٨ .

وآثر كثيرٌ من الصحابة البقاءَ فى الحبشة حتى بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. فإنه لما التجأ المهاجرون الأولون إلى الحبشة فأكرمهم النجاشى وبقوا هنالك آمنين من اضطهاد قريش، ولما هاجر رسول الله إلى المدينة، عاد أربعون من المهاجرين والتحقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وبقى منهم فى الحبشة نحو خمسين أو ستين تحت حماية النجاشى.

ومن الصحابة الذين آثروا البقاء فى الحبشة حتى بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة:

جعفرُ بن أبى طالب رضى الله عنه ابنُ عم النبى وَهُوَ أَسَنُّ مِنْ أخيه عَلِيٍّ بِعَشْرِ سِنِيْنَ، هَاجَرَ الهِجْرَتَيْنِ، وَهَاجَرَ مِنَ الحَبَشَةِ إِلَى المَدِيْنَةِ، فَوَافَى المُسْلِمِيْنَ وَهُمْ عَلَى خَيْبَرَ إِثْرَ أَخْذِهَا.

وكان معه أيضا أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه، قَدِمَ المدينةَ بعد فتح خيبرٍ، وصادفتْ سفينتُه سفينةَ جعفر بن أبى طالبٍ، فقَدِمُوا جميعًا، وكان معهم أيضا عُتبةُ بنُ مسعودٍ الهذلى أخو عبد الله بن مسعود لأبويه رضى الله عنهما.

* * *

النموذج الثالث : المدينة فى المرحلة الأولى :

فى هذه المرحلةِ المبكرة من بناءِ الدولةِ الإسلاميةِ ؛ نجدُ مجتمعا في طُورِ التشكيلِ ، وحكومةً أو سلطةً فى مهدِ التكوينِ ، فالأنصارُ وهم أهلُ البلاد يزاحمهُم المهاجرون ، ومنذُ فترةٍ قريبةٍ كانت الصراعاتُ والنزاعاتُ بين قبائل وبطونِ المهاجرين من مكة تعمل عملها ، وكذلك كانت هناك نزاعات بين الأوس والخزرج من الأنصار.

ولذلك كان هناك ضرورة لأن تعملَ الدولةُ على تأليفِ قلوبِ الأنصارِ بعضهم البعض وكذلك المهاجرين ثم المؤاخاةِ بين المهاجرين والأنصارِ.

وبمجرد أنْ وصلَ النبيُّ صلى الله عليه وسَلَّمَ إلى المدينة وبدأ فى وضع الأساس لدولته تكونت فئةٌ جديدةٌ ومجموعةٌ مناهضةٌ للدولةِ وهى المنافقون ، يظِهرونَ الموالاةَ والإيمانَ ويُبطِنون العداوةَ والكيدَ والمحاربةَ.

وبالرغم من أن الإيمان قد دخلَ كلَ بيتٍ من بيوت الأنصار إلا أنه ومن الطبيعى فى هذه الفترة أن يكون هناك فئةٌ من أهلِ المدينةِ يتمسكون بدينهم وشركهم.

هذا بالإضافة إلى فصيلٍ كبيرٍ من أهل المدينة من اليهود. لهم كيانٌ متجمعٌ.. كيانٌ متماسكٌ ، ولهم قياداتٌ وحصونٌ وسلاحٌ وعتادٌ. ولهم تجاراتٌ وزراعاتٌ دائرةٌ فى المدينةِ وخارجها ، وقد لعبوا دورَهم المعتادَ من الدسِّ والوقيعةِ بين أهل المدينة من الأوسِ والخزرج ، قسَّموا أنفسهم فالبعضُ يناصرُ الأوسَ ويمدُّهم بالسلاح والآخرُ يناصرُ الخزرجَ ويمدُّهم بالسلاح ، وهم يستقوون يوما بعد يوم ، ويكسبون من وراء تجارة السلاح والمؤون. ويحتفظون بقوتهم فى حينَ تنهارُ قوةُ العربِ من أهل المدينة.

فكيف تعاملَ وتعايشَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابهُ مع هذه الأصناف؟

والإجابة عن ذلك تتجلى فى الخطواتِ المرتبةِ التى فَعَلها النبى صلى الله عليه وسلَّمَ:

أولا: بناءُ المسجد.

ثانيا: المؤاخاةُ بين المهاجرين والأنصار.

ثالثا: توقيعُ الوثيقةِ وموادعةُ اليهودِ: وذلك فى صحيفة المدينة، وقد اشتملت بنودها على أسمى مظاهر التعايش السلمى بين المسلمين وغيرِهم.

١ – حددت الصحيفةُ مفهومَ الدولةِ التى تضُمُ جماعةً من الناس ينتمون إلى أديان مختلفة وثقافاتٍ مختلفةٍ وأعراقٍ مختلفةٍ وتجمعوا من أماكنَ مختلفةٍ.

٢ – حلت الصحيفةُ تشابكَ العلاقاتِ الإنسانيةِ، فهناك علاقةُ القرابةِ والدم وهناك علاقةُ الدينِ وهناك علاقةُ الجوارِ وهناك علاقةُ المصالحِ المشتركةِ، فإن عاشت هذه العلاقات جميعها فى وئامٍ وتوافقٍ استطاع الإنسانُ أن يحقّقَ التعايشَ والسلامَ الاجتماعى.

٣ – اعتبرتِ الصحيفةُ اليهودَ من مواطنى الدولةِ الإسلاميةِ وعنصرًا من عناصرها؛ حيث قالت: وإن يهودَ بنى عوف أمةٌ مع المؤمنين؛ فرابطةُ الدين لا تتعارض مع رابطةِ المواطنةِ، بل إنّ رابطةَ المواطنةِ وما تُلْزِمُنَا به من احترامٍ للآخرِ وتقديرٍ لخصوصياته ودينهِ وعقيدته يوجبُها علينا الدينُ.

٤ – الاحتكامُ والمرجعيةُ في الدولة الإسلامية يجب أن يكون للهِ ولرسولهِ؛ حيث قالت: وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا الاحتكامُ تُوجبه عدةُ أمورٍ:

أولا: نصت المعاهدةُ على ذلك، فعلى من يوقع على هذه الصحيفةِ أن يلتزمَ بما فيها، والنصُّ على المرجعيةِ وتحديدِ مصدرِ القضاء والفصلِ بين الناسِ لازمٌ من لوازم التعايش، ولولا النصُّ على ذلك في دستور الجماعةِ لحدث الصراعُ والخلافُ بين الناس عند كلِ حادثةٍ، فمن يحكمُ فيها ومن يكونُ حكمُه لازمًا ومنفذًا على الجميع سوف تكونُ معضلةً عند كل حادثة تحولُ دون الفصلِ فيها وإنهائها.

ثانيا: إن تحول معظم سكانِ المدينة إلى الإسلام ودُخولُهم في طاعةِ الشرعِ وطاعةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم والنزولِ على حكمهِ والرضى به، يجعلُ من المنطقي أن يكونَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو المرجعية لكلِ أهلِ المدينةِ والحاكم فيما يحدثُ من شِجار أو اعتداءٍ يكون طرفاه من أهلِ الصحيفةِ.

ثالثا: أنزل الله عز وجل على رسولهِ قانونًا واضحًا ثابتا منصوصًا عليه، يمكنُ للجميع معرفتهُ، والنظرُ فيما إذا كان احتكامهُ على وفْقه وبمقتضاه سيحقق له العدلَ والمساواةَ أم لا.

أما اليهود فإن ديانتهم مغلقة، وكتابُهم يكادُ يكونُ سريًا لا يعلمهُ كثيرٌ من أهلهِ، وشريعتهُم بَادَ كثيرٌ من أحكامِها، وإنما فيها بعضُ العبادات.

ومن البينّ أن اليهودَ لن يُلْزَمُوا بمقتضى هذه المعاهدة أن يرجِعوا إلى قضاءِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وحكمِه إلا فيما يحدثُ من خلافٍ أو اشتجارٍ بينهم وبين المسلمين، وأما الفصلُ فيما بينهم فى قضاياهم وأحوالِهم الشخصيةِ المنصوصِ عليها فى دينهم، فإنهم مخيرون .. لهم أن يحتكموا إلى التوراة ويقضوا بما فيها ، يتولى الفصل فى ذلك كبيرهُم أو حبرهُم، ولهم أن يحتكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقبلوا بحكمه ويلتزموا به، قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٢]. قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيره لهذه الآية الكريمة: كَانَ بَنُو النَّضِيرِ إِذَا قَتَلُوا قَتِيلاً مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ أَدَّوْا إِلَيْهِمْ نِصْفَ الدِّيَةِ وَإِذَا قَتَلَ بَنُو قُرَيْظَةَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ قَتِيلاً أدوا إِلَيْهِمُ الدِّيَةَ كَامِلَةً . فَسَوى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَهُمُ الدِّيَةَ كَامِلَةً.

فإن بنى النضير وبنى قريظة قد اختلفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم فى دية القتلى بينهما، فقد كانت بنو النضير أعزّ من بنى قريظة ، فكانتْ تفرضُ عليهم ديةً مضاعفةً لقتلاها، فلما ظهر الإسلامُ فى المدينة امتنعتْ بنو قريظة عن دفع الضعفِ وطالبت بالمساواةِ فى الديةِ، فنزلت الآية: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ

يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٥].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أنه قَالَ: عَدَا يَهُودِيٌّ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَى جَارِيَةٍ ، فَأَخَذَ أَوْضَاحًا كَانَتْ عَلَيْهَا وَرَضَخَ رَأْسَهَا، فَأَتَى بِهَا أَهْلُهَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَهْيَ فِي آخِرِ رَمَقٍ، وَقَدْ أَصْمِتَتْ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ قَتَلَكِ؟ فُلاَنٌ ». لِغَيْرِ الَّذِي قَتَلَهَا ، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَنْ لاَ ، قَالَ: فَقَالَ لِرَجُلٍ آخَرَ غَيْرِ الَّذِي قَتَلَهَا ، فَأَشَارَتْ أَنْ لاَ ، فَقَالَ: « فَفُلاَنٌ ». لِقَاتِلِهَا فَأَشَارَتْ أَنْ نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَرُضِخَ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ [١] .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ وَامْرَأَةً قد زَنَيَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ ؟» فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: كَذَبْتُمْ، إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ. فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَده عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: ارْفَعْ يَدَكَ. فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَقَالُوا: صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرُجِمَا [٢].

---

(١) صحيح البخارى (كتاب الطلاق / باب الإِشَارَةِ فِي الطَّلاَقِ وَالأُمُورِ) ٥١/٧ رقم (٥٢٩٥) .

(٢) صحيح البخارى (كتاب المناقب / باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ٢٠٦/٤، رقم (٣٦٣٥).

٥ – إن صحيفة المدينة ـ بالنسبة لنا ـ ليست فقط مجرد معاهدة بين المسلمين واليهود فى المدينة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنها بمثابةِ دستورٍ شرعي ومنهاج نبوي ، حَمَّلَهُ النبى صلى الله عليه وسلم من القواعدِ والمبادئ العامة التى تَخرُجُ بـه عن نطاقِ المعاهدةِ الخاصةِ ، فهي قواعـدُ تمثل المقاصدَ الكليةَ للشرعِ والدينِ الإسلامي ، مقاصدُ تحقِّقُ العدالةَ والمساواة التامةَ بين الإنسانِ وأخيه الإنسانِ.

أ – فهي تؤكدُ على حقِ كل إنسانٍ سواءَ كان فى الجوارِ أم لا ، سواءَ كان داخـلاً فى المعاهدة أم لا ، فإنه إنسـانٌ له الحـقُ أن يَنعَمَ بالكرامةِ الإنسـانيةِ التى وهبَها المولى عزَّ وجلَّ لجنسِ الإنسـانِ حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠]، وجاء فى الصحيفة: «وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٍ».

وعليه فالمحافظةُ على الجارِ واحترامُ حقوقهِ وحمايتهُ من الشرِ تَجِبُ على أهلِ هذهِ الوثيقةِ كما يجبُ حفظُ النفسِ ورعايةُ حقوقها .

ب – وأقـرتِ الصحيفةُ مبدأَ المسـاواةِ، وأن ذمَّـةَ اللهِ واحدةٌ، فمن أعطاهـا فهى مُحترمـةٌ من كل المؤمنين، سـواءَ كان من أعطاها أعلاهم قدرا ومنزلة أو أدناهم؛ حيث قالت: « وَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَةٌ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ».وقالت: «وَإِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ».

ومبدأ المسـاواة فى الإنسانية قد عَلَّمَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى أحاديث شريفة كثيرة، منها:

• ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»(١).

وعَنْ أَبِى نَضْرَةَ رضى الله عنه أنه سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ قَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ». قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. ثُمَّ قَالَ: «أَىُّ يَوْمٍ هَذَا ». قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ. ثُمَّ قَالَ: « أَىُّ شَهْرٍ هَذَا ». قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ. ثُمَّ قَالَ: « أَىُّ بَلَدٍ هَذَا ». قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ. قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا. أَبَلَّغْتُ». قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(٢).

ج – ونصت كذلك الصحيفةُ على مبدأ الحريةِ فى الاعتقادِ والتعبد، حيث قالت: « لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ ، وَأَنْفُسُهُمْ ، إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ ».

وهـذا تطبيق لما قرره القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [سورة البقرة: الآية٢٥٦]

---

(١) البخارى (كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب (وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا) ١٦٧/٤، ومسلم (كتاب الفضائل ـ باب فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ٩٦/٧، رقم (٦٢٨١).

(٢) رواه أحمد فى مسنده ٤٧٤/٣٨ رقم (٢٣٤٨٩).

د – ونصت الصحيفةُ فى بدايتها على أنه على كل طائفة أن تتحمل المسئوليةَ الماديةَ عن أتباعها، فهى تتحمل فداء أسيرها ، وهم يشتركون فى معاقِلهم .

ولا تلـزمُ الصحيفـةُ طائفةً أن تسـاعدَ أو تدفعَ مـن مالها لغيرها لا فـى عقلٍ ولا فى فداءٍ، ولكنَّ الصحيفةَ ألزمتِ الجميعَ تحُّمل مسـئوليةِ التضامنِ الاجتماعي والتكافلِ فيما بينهم، لأن القاعدةَ تقولُ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِى فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ.

فالصحيفـةُ لا تُلـزِمُ طائفةً من المؤمنين أن يتحمّلوا المسـئوليةَ الماديةَ عن طائفةٍ أخرىً ولكن الإيمانَ يُوجبُ ذلك، فالمؤمنون لا يتركون مفرحا بينهم دون أن يساعدوه ويعاونوه.

وهذه القاعدةُ ذَكَرَها رسـولُ الله صلى الله عليه وسَـلمَ فى أحاديث كثيرة، منها:

ما وراه أَبو مُوسَى رضى الله عنه عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[1].

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضى الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسـلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[2].

هـ – ثم وضعتِ الصحيفةُ دعائـمَ العدلِ، فالمؤمنون المتقون مطالبون

---

(١) رواه البخارى (كتاب الأدب ـ باب تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا) ١٢/٨، رقم (٦٠٢٦).

(٢) مسلم (كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ) ٢٠/٨، رقم (٦٧٥١).

بالعدل وإقامته ومطالبون بمجاهدة الظلم وردِه عمن وقع عليه، وهُم جميعًا يدٌ على منْ ظَلَمَ ولو كان وَلَدَ أحدِهِم؛ حيثُ قالت: «وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ المتقين عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ أَوْ إِثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ». وقالت: «وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ».

وهذه العبارة تُعَدُّ من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، فإن النصر في الإسلام للمظلوم أيًّا كان دينه وأيًّا كان عرقه.

وجاءتْ هذه القاعدةُ تطبيقًا ومصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: الآية ١٣٥]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: الآية ٩-١٠].

فكانتِ العدالةُ من أبرزِ ما تأسستْ عليه هذه الوثيقةُ، وتمثَّلتْ في

توافق الحقوق والواجبات وتناسقها إذ تضمنتْ حقوقَ الأفرادِ جميعًا فى ممارسةِ الشعائرِ الدينيةِ الخاصةِ، وحقوقهم فى الأمنِ والحريةِ وصونِ أنفسهم وأموالهم وأعراضِهم ودور عبادتِهم.

و ـ ونصتْ كذلك الصحيفةُ على قاعدةِ المسئوليةِ الشخصيةِ بمعنى أن كلَ إنسانٍ يتحملُ مسئوليةَ جُرمهِ وما كَسَبهَ، يُسْأل عنه ويُؤَاخذ به، لا يحملُ مؤاخذةُ الجماعةِ بجريرةِ الفردِ، حيثُ قالت: «إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإنّهُ لَا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ»، وقالت: «وَإنّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ»، وقالت: «لا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إلّا عَلَى نَفْسِهِ».

ز – ونصتْ على قاعدةِ المسئوليةِ الجماعيةِ، بمعنى أن الجماعةَ كلهًا مسئولةٌ عن محاصرةِ الظالمِ أو الجانى ومحاكمتِه والحرصِ على نوالهِ العقابَ على ما اقترفَ من الجُرم؛ حيثُ قالت: «وَإنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ أَوْ إثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإنّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كانَ وَلَد أَحَدِهِمْ»، وقالت: «وَإنّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافّةٌ، وَلَا يَحِلّ لَهُمْ إلّا قِيَامٌ عَلَيْهِ»، وقالت: «وَإنّهُ لَا يَحِلّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرّ بِمَا فِى هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَآمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا وَلَا يُؤْوِيهِ، وَأَنّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإنّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ».

ح – وفى نهايةِ الصحيفة أكدَّ رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلَّم على الحريةِ وأنها مكفولةٌ للجميع ينعمون بها آمنين من كل سوءٍ أو شر؛ حيث قالت: «وَإنّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إلّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ، وَإنّ اللّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرّ وَاتّقَى، وَمُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ».

فمنْ رَفَضَ الانضمامَ للصحيفةِ فإنَّه حرٌ وآمنٌ، إنْ خَرَجَ من المدينةِ فهو آمنٌ، وإنْ قَعَدَ فيها فهو آمنٌ شريطةَ ألا يَظْلِمَ أو يعتدى على الجماعةِ.

وفى هذا البند الأخيرِ إشارةٌ أن هذه الصحيفةَ لم تكنْ صحيفةً خاصةً مغلقةً على من انضَّم إليها، بلْ إنّ كثيرًا من بُنُودِ الصحيفة كانتْ قواعدَ كليةً ومفاهيمَ إسلاميةً ومبادئَ فى التعايشِ مع الآخرِ، قبل الوثيقةِ وبعدها، أى فى وجود وثيقة تعايشٍ مدونةٍ وموقع عليها وبدون وجودِ هذه الوثيقةِ فإن المسلمين يلتزمون بالمبادئِ العامةِ التى نصتْ عليها الوثيقةُ فى التعايشِ مع الآخرِ؛ لأن أغلَبها قواعدُ كُليةٌ نصَّ عليها الكتابُ والسنةُ فى كثيرٍ من مواضعِها، فهى قواعدٌ فى احترام حقوقِ الإنسانِ والأكوانِ، وهى تتحدثُ عن المساواةِ فى الإنسانيةِ، وتتحدثُ عن الكرامةِ الإنسانيةِ، وحرمةِ العِرضِ والمالِ والدينِ، وتحدثتْ أيضا عن العدلِ وإقامةِ الحقِ ولو على أنفسِنا، وهى أمورٌ معلومةٌ من دينِ الإسلامِ ضرورةً.

* * *

النموذج الرابع : المدينة فى عهدها الأخير :

نمـوذجُ الدولةِ الإسـلاميةِ مكتملةِ الأركان، من حيـث النظام العام والسياسـةِ الداخلية والخارجيةِ، ومن حيثُ التركيبةِ المجتمعيةِ حيث تحوّل أغلبيةُ السكانِ إلى الإسلام. وليس صحيحًا أن يُظَن أن المدينة فى عهدِها الأخيرِ كانت أحاديةً لا تنوعَ فى سكانِها من حيثُ الدين ، فإنَّ الإسـلامَ والمسلمين لا يعترفون أو يُقرون بمسـألةِ تطهيرِ الأرضِ وتوحيدِ الدين وإكراهِ الناس على الدُخولِ فى دينهم أو الرحيلِ من أرضهم.

فالمدينةُ حتى وفاةِ رسـولِ الله صلى اللهَ عليه وسَـلَمَ كان فيها يهودٌ يبيعون ويتاجرون ويعيشـون بسـلام، نعم لم يَعُدْ لليهودِ في المدينة فى عهدهـا الأخير تكتلاتٌ سـكنيةٌ أو حصونٌ حربيـةٌ منفصلةٌ ومغلقةٌ كما كان فـى العهدِ الأول، ولكن كان هنـاك يهودٌ مدنيون بمعنى أفرادٍ غيرِ محاربين يسكنون المدينة ويعيشون مع أهلها.

وكذلك كان في المدينة منافقون حتى بعد وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم أَخبَر عنهْ حاملُ سِّـره حذيفةُ بـنُ اليمان، حيث ترك رسـولُ الله للوقتِ والزمان أن يعملَ دورهَ فى القضاءِ على فتنتهِم داخلَ المدينة.

* * *